العولمة و انعكاساتها على الهوية الثقافية العربية

الأستاذة: سعيدة رحامنية، جامعة خنشلة، الجزائر

الملخص:

ظاهرة العولمة الثقافية من أهم القضايا المعاصرة التى امتد تأثيرها ليشمل قطاعات واسعة جدا من البلدان العربية و الإسلامية، و نظرا لتأثيرها المباشر على العقيدة الإسلامية ، فقد انقسم الباحثون في موقفهم، فمنهم من رآها شرا محضا و منهم من رآها خيرا كبيرا و فرصة واعدة لنشر الثقافة الإسلامية و التحاور مع أصحاب الثقافات الأخرى. بينما آخرون درسوا هذه الظاهرة بإنصاف و تجرد و فرقوا بين وسائلها و بين مضمونها .

Résumé:

Phenomenon of cultural globalization of the most important contemporary issues, which extended its influence to include sectors very wide range of Arab countries and Islamic, and because of their direct impact on the Islamic faith, has divided researchers in their position, some of whom saw inherently evil and some of them saw good great and promising opportunity for the dissemination of culture Islamic and dialogue with people of other cultures. While others have studied this phenomenon fairly and impartially and split between its means and its content.

مقدمة:

العولمة موضوع واسع، متشعّب، معقّد، طرح منذ زمن، ولا يزال يطرح، تكتب فيه الأفكار والآراء، وتتم فيه المناقشات المستفيضة، علّ وعسى يلملم الموضوع، ويحدّد، ويتفق فيه على الأساسيات، وتظهر فيه بصمات العلماء العرب وآرائهم، في محاولة لإبراز دورهم دون انسحاق، وتهميش، فقد فتح العرب الباب على مصراعيه منذ الأزل لثـقافات الأمم المختلفة، فأخذوا منها، ونقحوا، وطوّروا، وأضافوا الكثير من إبداعات العلم والأدب الذي جعلهم منارة لغيرهم من الأمم على مر العصور، فقد أشعلوا سراجهم من قناديل الفرس والهنود ونهلوا من ينابيع اليونان فأصبحوا منارات علم وأدب حيث أنعشوا الثقافات السابقة وبعثوها من جديد، وبقالب عالمي جديد مناسب لعصرهم، بعد أن أغنوها بثمرات إضافاتهم القيـّمة. فأين هم من ذلك كله الآن؟

إن هذا المقال المتواضع هو إحدى المحاولات للإجابة على السؤال و تسليط الضوء على مفهوم العولمة الضبابي ، الممتد و اللامتناهي ، و انعكاساته .

إن أخطر نتائج العولمة هو خطرها الثقافي، ففي الوقت الذي تدعو فيه العولمة إلى تحرير رؤوس الأموال والسلع، فإنها تدعو في الوقت نفسه إلى إيجاد ثقافة واحدة للبشر، ولعل أخطر ما في العولمة الثقافية سعيها إلى إلغاء التعددية الثقافية التي هي الكنز الباقي الذي تتطور من خلاله مختلف الحضارات، ومحاولتها سلخ الشعوب من هوياتهم الثقافية واللغوية لصالح ثقافة مهيمنة مسيطرة على العالم ، حيث السعي إلى نشر ثقافة العولمة ونماذجها في الحياة على حساب الثقافات الأخرى .

و سنتطرق في هذا المقال إلى عدة نقاط جوهرية تتمثل في:

أولا : تحديد المصطلحات و مدلولاتها

ثانيا : العولمة و الاختراق الثقافي

ثالثا : الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة

رابعا : اقتراحات و حلول للتعامل مع العولمة

أولا : تحديد المصطلحات و مدلولاتها

سنحاول تحديد مفهوم ثلاث مصطلحات أساسية : العولمة – الثقافة – الهوية .

1 . مفهوم العولمة:

العولمة كمصطلح جديد يختلف عن **العالمية** فهما مفهومان مختلفان تماماً، ففي حين تشير العولمة إلى فرض سيطرة إحدى الدول على الأخرى وهيمنتها عليها، في أي جانب من جوانبها، الاقتصادية، أو السياسية، أو الفكرية، أو الاجتماعية، أو الثقافية، وغيرها، تشير العالمية –وهي مفهوم قديم- إلى الأبعاد الإنسانية المشتركة بين جميع بني البشر، وهي أفكار إنسانية تلائم الجميع في الدول المختلفة، مثل الأدب العالمي وحقوق الإنسان وغيرها[1].

و لقد كثرت التعاريف التي توضح معنى العولمة ، نذكر منها :

تعريف جيمس روزانوا أحد علماء السياسة الأمريكيين عن العولمة :" إنها العلاقة بين مستويات متعددة لتحليل الاقتصاد و السياسة و الثقافة و الايدولوجيا ، و تشمل : إعادة الإنتاج ، و تداخل الصناعات عبر الحدود و انتشار أسواق التمويل و تماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول نتيجة الصراع بين المجموعات المهاجرة و المجموعات المقيمة " [2] .

و يعرف الدكتور محمد عابد الجابري العولمة بقوله هي : " العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلدا بعينه هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع " و هي أيضا إيديولوجيا تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم و أمركته " [3] . أي محاولة الولايات المتحدة إعادة تشكيل العالم وفق مصالحها

الاقتصادية و السياسية ، فالعولمة هي اسم للاستعمار في أشكال جديدة ، و هي نوع من السيطرة الأمريكية على العالم .

و مما سبق نستنتج أن العولمة هي الحالة التي تتم فيها عملية تغيير الأنماط و النظم الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية و مجموعة القيم و العادات السائدة و إزالة الفوارق الدينية و القومية و الوطنية في إطار تدويل النظام الرأسمالي الحديث وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة، و التي تزعم أنها سيدة الكون و حامية النظام العالمي الجديد.

2 . مفهوم الثقافة :

و على الرغم من ذلك الحشد الهائل من التعريفات للثقافة، إلا أن ثمة إجماعا بين كل هؤلاء المعرفين على إدخال العقائد، و الأخلاق، و العلوم، و القيم ضمن معنى الثقافة. و من بين هذه التعريفات نجد:

مالك بن نبي يعرف الثقافةبأنها: " علاقة معنوية بين سلوك الفرد وأسلوب الحياة في المجتمع "[4] و في ضوء هذا " تصبح الثقافة نظرية في السلوك، أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة.(..) فهي مجموعة من الضمانات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه "[5] وهي بذلك تكون « المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته »[6] وهذا التعريف الشامل للثقافة هو الذي يحدد مفهومها فهي " المحيط الذي يعكس حضارة معينة، والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر "[7].

أما الكاتب «عزت بيجوفيتش» فقد حسم في كتابه « الإسلام والغرب» وتعني الثقافة عنده: «علاقة الإنسان بتلك السماء التي هبط منها، وكل شيء في إطار الثقافة، إما تأكيد أو رفض أو شك أو تأمل في ذكريات ذلك الأصل

السماوي للإنسان، فالثقافة تتميز بهذا اللغز، وتستمر هكذا خلال الزمن في نضال مستمر لحل هذا اللغز »[8] .

وهكذا "فبيجوفيتش" يسعى لانتصار الثقافة باعتبارها مترادفة مع الدين حيث يتوازى الخلق والثقافة والفن والأخلاق مع الدين [9].

رغم تنوع تعريفات الثقافة إلا أن كل الثقافات انصهرت و أصبحت ثقافة واحدة بفعل العولمة، يقتضي بالضرورة محاربة الثقافة القوية بأدواتها المادية للثقافات الأخرى التي تعاني من ضعف القوة المادية.

3. مفهوم الهوية:

حظيت مسألة الهوية و الهوية الثقافية بالخصوص باهتمام الكثير من المفكرين و الأدباء في مختلف الثقافات، و تزايد الإهتمام في الفترة الأخيرة بمفهوم الهوية العربية الإسلامية الذي أصبح من أهم الأهداف التي تسعى التربية العربية إلى تعزيزها وترسيخها لدى النشأ والشباب، لما يترتب على ذلك من تعزيز الانتماء و تحقيق التقدم في ظل التحديات الجديدة في عصر العولمة.

الهوية تعني جوهر الشيء و حقيقته ... إنها كالبصمة للإنسان يتميز بها عن غيره، وقد شخصها » إليكس ميكشيللي » بأنها » عبارة عن مركب من العناصر المرجعية و المادية و الذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الإجتماعي، فالهوية طالما أنها مركب من عناصر فهي بالضرورة متغيرة في الوقت ذاته الذي تتميز فيه بثبات معين، مثل الشخص الواحد يولد و يشب و يشيخ و تتغير ملامحه و تصرفاته و أحياناً ذوقه (أي تتغير شخصيته)، و لكنه يبقى في الأخير هو نفس الشخص و ليس شخصاً آخر [10] .

إن الهوية جسر يعبر من خلاله الفرد إلى بيئته الاجتماعية والثقافية، فهي إحساس بالانتماء والتعلق بمجموعة، وعليه فالقدرة على إثبات الهوية مرتبطة بالوضعية التي تحتلها الجماعة في المنظومة الاجتماعية ونسق العلاقات فيها [11] .

أما الهوية الثقافية هي تعبير عن الحاجة إلى الاعتراف والقبول والتقدير للإنسان ففي الهوية الثقافية تشتغل جدلية الذات والآخر وتعيد كل جماعة بشرية تأويل ثقافتها من خلال اتصالاتها الثقافية الثقافية، وعلى كائن جماعي حي يتحول ويتغير من الداخل على ضوء تغير المصادر القيمية والسلوكيات، ومن الخارج بفعل أشكال التأثير الناتج عن علاقة الفرد بالمحيط كما أنها كيان يسير ويتطور وليس معطى جاهز ونهائي وهي تتطور إما في اتجاه الانكماش وإما في اتجاه الانتشار، وهي تغني بتجارب أهلها وانتصاراتهم وتطلعاتهم وأيضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى.

إن الهوية الثقافية والحضارية لأمة، هي القدر الثابت والجوهرية والمشترك السمات والقسمات التي تميز حضارة أمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل الشخصية الوطنية أو القومية طابعا تتميز به عن الشخصيات الوطنية القومية الأخرى [(12)] .

ثانيا : العولمة و الاختراق الثقافي

من المعروف أن مشكل الهوية، كان قد طرح للمناقشة و التداول و المعالجة مع بدايات الاحتكاك بين الحضارتين الغربية و العربية الإسلامية، خصوصا بعد شمول السيطرة العسكرية الغربية على العالمين العربي و الإسلامي، لان الغرب شرع في نشر لغته و نموذجه الحضاري داخل الأوساط الاجتماعية مستغلا الضعف الذي كانت الثقافة العربية و الإسلامية تعاني منه، فعمل الاستعمار الغربي على زيادة تهميش عناصر الثقافة العربية و الإسلامية، و أهمها اللغة العربية كأداة فاعلة لنقل الثقافة و المحافظة عليها، باعتبارها الوسيلة الوحيدة للارتباط بالموروث الثقافي للأجداد .

لذلك فمن بين أهم الشعارات التي رفعت في وجه الاستعمار و ساعدت بشكل حاسم في إخراجه و تحقيق الاستقلال، كان شعار، الدفاع عن الهوية.

و مما لا شك فيه أن ظاهرة الصحوة الإسلامية قد عززت مفهوم الهوية الحضارية و عمقته و كشفت عن إمكانات ضخمة تختزنها ذاكرة الأمة الثقافية و وجدانها الداخلي. و أن الضربات المتتالية التي تعرضت لها هذه الهوية لم تكن قاتلة، بل ساعدت على نفض الغبار عنها و تفعيل عناصرها .

و إذا كانت هذه الصحوة الداعية إلى التشبث بالهوية و إحيائها، قد كشفت من مواقف متطرفة، تدعوا للانغلاق و رفض الآخر بشكل نهائي و قاطع، فإن مواقف أكثر نضجا و فهما للصراع الحضاري و للموقف الحرج الذي تعاني منه الأمة العربية و الإسلامية ليس على المستوى الثقافي فحسب و لكن على المستوى الحضاري العام، كانت قد تبلورت، لأنها و انطلاقا من موضوعية المعالجة شعرت بضرورة التثاقف و الانفتاح على الآخر، لكن بشروط من أهمها تفعيل عناصر الثقافة العربية و الإسلامية، و تنشيطها و الكشف عن خصائصها و مميزاتها، و محاولة تقديمها بحلل جديدة لائقة، تستطيع أن تقاوم و تنافس بل و تنتصر في نهاية المطاف و عدم الخلط بين الثابت و المتحول في ثقافتنا.

كما أن النقد الموجه للحضارة و الثقافة الغربية كان أكثر عقلانية و موضوعية، يميز بين ما هو إنساني عام و ما هو خصوصية أنجبتها رحم ظروف التطور التاريخي و الاجتماعي و الاقتصادي الذي عرفته المجتمعات الغربية. لذلك اتسمت هذه الانتقادات بالعمق و تبنتها شرائح واسعة من المثقفين على اختلاف مشاربهم و توجهاتهم الأيديولوجية.

فإذن الحديث عن الهوية العربية و الإسلامية و التحديات التي تواجهها من طرف الحضارة الغربية ليس وليد بروز ظاهرة العولمة الثقافية، و إنما يرجع كما أسلفنا القول إلى بداية الاحتكاك العسكري و الثقافي مع هذه الحضارة قبل قرنين من الزمان تقريبا، و قد عرف هذا الاحتكاك تطورا اتسم بالمد و الجزر، بالاستجابة الايجابية حينا و بالتصادم و العدوان حينا آخر. لكن ما يميز ظاهرة العولمة هو كون التحديات الآن أخرت بعدا آخر، أكثر شمولية و خطورة، لان

الثقافة الغربية امتلكت الآن الوسائل و الأدوات القادرة على الوصول إلى عقل الإنسان العربي و المسلم بشكل دائم و مستمر، و قد امتزجت و تداخلت مع عدد كبير من المجالات الاقتصادية و السياسية و العلمية، لذلك فقدرتها على التأثير أصبحت مضاعفة و غير محدودة.

هذا الوضع الجديد الذي وصل إليه الاحتكاك الذي أخذ طابع الصراع في أكثر الأحيان، و الإمكانات التقنية الهائلة التي تملكها الثقافة الغربية، و الوضع المزري الذي يتخبط فيه العالم العربي و الإسلامي، هو الذي يؤرق النخب المثقفة العربية و الإسلامية، و يجعلهم يتخوفون من العولمة الثقافية، أكثر بكثير من خوفهم من الغزو الثقافي الذي عالجوه و ناقشوا تداعياته من قبل.

فهذه العولمة شاملة و ليست ثقافية فقط، و إنما اقتصادية و سياسية، و هذان العنصران يدعمان الثقافة بشكل كبير، لأنها بدورها تساعدهما على التعمق باعتبارها خيارات حضارية تستجيب لحتمية التطور. و هذا يشكل تحديا خطيرا للهوية العربية و الإسلامية لم يسبق لها أن تعرضت له بنفس الحجم و القوة و الخطورة.

لذلك نجد أن النخب المثقفة العربية و الإسلامية هرعت لمناقشة ظاهرة العولمة الجديدة، لمعالجتها و الكشف عن أخطارها على جميع المستويات الاقتصادية و السياسية و الثقافية و قد عقدت أكثر من ندوة و مؤتمر لمناقشة هذه الظاهرة، كما خصصت مجموعة من الدوريات المتخصصة بشؤون الفكر و الثقافة ملفات لمناقشة تداعيات العولمة و التعريف بها.

إن الخصوصية الثقافية التي ترافق الشعوب والأمم والجماعات البشرية وما إذا كانت ستبقى هذه الخصوصية في عالم وزمن العولمة الزاحفة يجب أن تنشر إلى أن الخصوصية أفضل من الاستقلالية، فالاستقلال في الميدان الثقافي نسبي ومتغير تبعا لعوامل التفاعل الحضري وإذا كانت الاستقلالية نسبية ومتغيرة فكذلك نجد التبعية الثقافية والتي تعني في جوهرها استلاب الأمة أو الدولة من

خصوصيتها الثقافية وهذا ما نراه من تأثيرات العولمة ومحاولة الغرب التأثير على ثقافات إلى الآخرين خاصة وهي أمام مجتمعات تستهلك في المجال الثقافي أكثر مما تنتج .

إن الاعتراف بتطور التكنولوجيا في العصر الحديث ووسائل الاتصال ضرورة ملحة ولا بد منها ولكن يجب أيضا أن لا نهمل الماضي فهو الدليل الذي يمكن من خلاله الاهتداء به لصياغة المستقبل والحاضر [13] .

ثالثا : الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة

تعرض العرب و المسلمون للكثير من الأخطار و الضغوطات و التحديات التي لابد من مواجهتها، ليس للتغلب عليها فقط بل لضمان مقومات الاستمرارية في حركتنا إلى الأمام، وعلى المجتمع العربي أن يكافح باستمرار لاستعادة هويته بعد أن منيت بمزيد من التجزئة و التعقيد .

عرف العالم الثقافة العربية الإسلامية عندما استلم العرب زمام القيادة الفكرية والثقافية والعلمية للبشرية في القرن السابع للميلاد، واستمروا في مركزهم المتميّز إلى القرن الخامس عشر، ولّما تراجع العرب والمسلمون عن مقدمة الركب الثقافي العالمي، ودبَّ الضعف في كيانهم، وتوقفوا عن الإبداع في ميادين الفكر والعلم والمعرفة الإنسانية، انحسر مدُّ ثقافتهم، وغلب عليهم الجمود والتقليد، وضعفوا أمام تيارات الثقافة الغربية العاتية التي أّثرت بقوةٍ في آدابهم وفنونهم وطرق معيشتهم، و سبب هذا الضعف و التراجع هو ظهور العولمة هذا التيار العالي التوتر أحدث تغيرات جذرية على ملامح الثقافة العربية .

إن العولمة ظاهرة جديدة قديمة، وتستمد خصوصيتها من تطورات فكرية وقيمية وسلوكية عدّة برزت بشكل واضح خلال عقد التسعينيات من القرن الماضي، ويأتي في مقدمة هذه التطورات انفتاح الثقافات العالمية المختلفة وتأثيرها وتأثرها ببعضها البعض، ولم يحدث في التاريخ أن أصبحت الثقافات والحضارات-

بما في ذلك أكثر المناطق الثقافية انعزالاً- منفتحة ومنكشفة بقدر ما هي منفتحة ومنكشفة حالياً، ومثل هذا الانفتاح الثقافي يحدث للمرة الأولى في التاريخ (14). وتتجلّى مظاهر تأثير العولمة في الثقافات بالتطور الهائل في تقنيات وسائل الاتصالات والمعلومات، كالفضائيات والإنترنت، وما رافق ذلك من سرعة انتشار المفاهيم والقيم والأفكار عبر القارات من دون قيود، والحرية الكاملة في انتقال المعلومات والأفراد. وانتشار الثقافة الاستهلاكية الماديةً، بحيث أصبح العالم مقبلاً على رموز الثقافة الاستهلاكية ومعطياتها، التي غدت رائجة في العالم وموجودة في كلّ مكان وفي كلّ المجتمعات [15].

و لا مجال للشك أن تأثير العولمة على الثقافة العربية يظهر من خلال ما تفرضه العولمة عليها من تحدّيات غير مسبوقة، تدفعها إلى أن تعيد تأمل إمكاناتها لاكتشاف مدى قدرتها على الحركة في عالم ليس من صنعها، ولا تملك سوى مواجهته بكلّ تناقضاته، دافعها إلى ذلك حرصها على الوجود الفعال في هذا العالم الذي يجاور ما بين أقصى مظاهر التقدّم وأقسى مظاهر التخلف، وتتراوح المواقف العربية تجاه العولمة بين أولئك الرافضين الذين يدقون ناقوس الخطر وما يتضمّنه ذلك من محاولات الانكفاء الذاتي، وبين التوفيقيين الذين يتطلعون إلى (التواصل الثقافي).

وليس من شك في أن الثقافة العربية تتعرّض لخطر كبير بفعل ظاهرة العولمة، إذ تمثل العولمة الثقافية أخطر التحديات المعاصرة للثقافة العربية، وهذه الخطوة لا تتأتى من الهيمنة الثقافية التي تنطوي عليها العولمة فحسب، وإنما من الآليات والأدوات التي تستخدم لفرضها. فالعولمة ظاهرة تلغي الدولة والوطن والأمة، وتسهم في القضاء على الهوية القومية والوطنية، علماً بأن الوسائل المستخدمة لتحقيق أغراضها هي تدفق المعلومات عبر الأقمار الصناعية والقنوات الفضائية وشبكات الإنترنت والتطور السريع فيها وثورة المعلومات، ومكمن

الخطر هو في طمس الهوية والخصوصية الثقافية العربية، واجتثاث الثقافة العربية وتغييبها وإحلال الثقافة الأميركية محلها [16].

ويظهر تأثير العولمة من تعلق فئة الشباب العربي بمظاهرها لوجود فراغ ثقافي لديهم، ناتج عن انعدام التخطيط العلمي لغرس الثقافة العربية في نفوسهم، في مقابل وجود أدوات ضخمة للثقافة الغازية متمثّلة بالإعلام الأميركي بكلّ رموزه من هوليوود حيث صناعة السينما، إلى التلفزيون الأميركي حيث صناعة الخبر، وصولاً إلى الصحافة الأميركية حيث صناعة الرأي العام وفق المصالح الأميركية. كذلك يظهر تأثير العولمة من الانتشار الواسع والسيطرة على أذواق الناس في العالم، كما أن النمط الأميركي في اللباس والأطعمة السريعة وغيرها من السلع الاستهلاكية انتشرت على نطاق واسع في المجتمعات العربية [17].

ونستذكر في هذا السياق الصناعات الثقافية الموجهة للأطفال من برامج كرتون ومسابقات وأغان تحمل الفكر والقيم الغربية والتي لا تعزز قيمة عربية أو إسلامية واحدة، وتقدّم إلى الطفل العربي مترجمة أو مدبلجة أو كما هي معدّة بشكل علمي مدروس، على أيدي خبراء في الإعلام والثقافة والتكنولوجيا المتقدمة، بحيث تعمل على تسطيح عقل الطفل، وتدمير قدرته على المحاكمة، وهدم القيم الإنسانية التي تمثلها وجدانياً، ثم تعمل على تزييف انفعالاته ومشاعره وأحاسيسه وإثارة غرائزه البدائية والبهيمية، وتحوّله إلى مجرد طاقة استهلاكية عبثية مدمرة مستلبة الهوية والإرادة [18].

ويظهر تأثير العولمة على اللغة العربية من خلال طغيان اللغات الأجنبية (الإنجليزية و الفرنسية) على حساب العربية في الأسرة والمدرسة والجامعة والإعلام والترجمة والتأليف، و يخيل للسامع أن اللغة العربية قد عجزت مفرداتها عن التعبير الصحيح السليم للصور والمشاهدات.

كما أن العولمة أدّت إلى انتشار مظاهر اللباس الغربي لدى الرجل والمرأة، العربية وخصوصاً لدى فئة الشباب حتى أصبح عنوان لباس المرأة العربية هو

الخلاعة والتبرج، ولبس ملابس تحمل علامات الماركات العالمية وصوراً لممثلين ومطربين غربيين.

لقد أدت العولمة إلى صبغ الثقافة العربية بالثقافة الاستهلاكية، فأصبح مجتمعنا العربي تستهويه الثقافة الاستهلاكية، لذلك فهو حريص على أن تتحول حياته إلى رحلة لا يأخذ فيها كتاباً ولا ورقة، بقدر ما يحرص على تعبئة عقلة ووجدانه بنزعة استهلاكية مدمرة، كي يصبح مجمل حديثه عن آخر ما نزل في الأسواق من الهواتف النقالة، والوسيلة التي تمكنه من اقتناء سيارة حديثة وجهاز كمبيوتر، متطوّر أو أنه يقضي معظم حياته وهو يلعن الفقر الذي لم يتح له الفرصة في أن يكون كائناً استهلاكياً، يقتني أحدث الماركات المعتمدة في عالم الساعات والعطور والملابس الجاهزة.

فالثقافة العربية تحولت تدريجياً إلى ثقافة مضمونها تفضيل الكسب السريع والإيقاع السريع والتسلية الوقتية، وإدخال السرور على النفس وملذات الحسّ وإثارة الغرائز، إنها قمع وإقصاء للخاص بعد اختراقه وهذا الاختراق إنما يستهدف العقل والنفس ووسيلتهما في التعامل مع العالم الذي هو الإدراك [19].

لقد أدّت العولمة إلى تراجع دور الأسرة، فقد شهد عصر العولمة تفككاً في بنية الأسرة، ولعل مما يشير لهذا التفكك فقدان الأسرة لقدرتها على الاستمرار كمرجعية قيمية وأخلاقية للناشئة، بسبب مصادر جديدة لإنتاج القيم وتوزيعها، وفي مقدمتها الإعلام المرئي، فضلاً عن تخلي المرأة عن وظيفتها الأساسية في رعاية الناشئة، وإظهار طاقاتها في الإنتاج المادي على حساب " صناعة الإنسان"، كلّ ذلك أدّى إلى غياب البيئة الصالحة التي تنشأ فيها القيم وتنمو فيها الأخلاق الإنسانية، والنتيجة هي أجيال من الشباب الضائع الحائر الذي يفتقد إلى الحب والحنان والانتماء، هذا ولا يتوقف دور الفضائيات وثقافة الصورة عند هذا الحدّ، فمن خلال السينما والتلفزيون والفضائيات، يجد المتفرج أمامه أنماطاً سلوكية جذابة ومغرية، فالمرأة العصرية مثلاً يعتمد جزء أساسي من عصريتها على ملاحقة

الموضة المتجددة في الأزياء سنة بعد سنة، بل موسماً بعد موسم حتى بدا خبراء الأزياء أكثر أهمية من علماء الطاقة النووية وربما أكثر بكثير[20] .

ويظهر تأثر الثقافة العربية بالعولمة من خلال ما يبثّ عبر شبكات التلفزة والإنترنت من أفلام جنسية ومواد إعلامية تروج الفاحشة والرذيلة. فالثقافة العربية المحافظة والقائمة على احترام المرأة وعفتها تقابلها مرحلة تقبل على المستوى الرسمي والشعبي لاستخدام جسد المرأة أداة نفعية مادية؛ وذلك بتضخيم الجانب الشهواني؛ باستخدام المرأة سلعة يمكن تسويقها من خلال العروض التلفزيونية والإعلانات، واعتبار المرأة آلة لتسويق السلع الاستهلاكية لمستحضرات التجميل والأزياء، ومسابقات ملكات الجمال.

ويظهر تأثير العولمة على الثقافة العربية كذلك، باختفاء العديد من العادات والتقاليد، فالتواصل وصلة الرحم وزيارات القارب تبدلت، وأصبحت في حدود ضيقة جداً بفعل الانشغال بالربح المادي وسيادة النزعة المادية والنفعية والمصلحة. إضافة إلى انتشار الجريمة بصور وأشكال متعددة ومتنوعة، فمن الجريمة الأخلاقية إلى الجريمة الاقتصادية إلى الجريمة البدنية وهذه أصبحت جزءاً من واقع الحياة المعاشة في المجتمعات العربية، ويعود ذلك إلى التقليد والمحاكاة وما يبث عبر الآلة الإعلامية الغربية الأميركية التي تنشر ثقافة الجريمة والعنف بهدف السيطرة والربح المادي.

كذلك يظهر تأثير العولمة بانتشار الكثير من الأمراض الاجتماعية كالخيانة، والزواج العرفي، وعقوق الوالدين، والعلاقات غير الشرعية بين الجنسين، ويعود ذلك إلى سيطرة الآلة الإعلامية وما يبثّ فيها بهدف الربح والكسب المادي.

ويبرز تأثير العولمة في اللامسؤولية والاستهتار لدى فئة الشباب العربي، وسعيهم وراء إشباع رغباتهم وحاجاتهم المادية والبيولوجية، والبعد عن الإبداع

والتجديد والتميّز في الفكر والإنتاج ويعود ذلك إلى غياب دور الأسرة التربوي والإرشادي نتيجة لانشغالها بأمور جانبية وشكلية.

ويظهر تأثير العولمة في شيوع الاتكالية والاعتماد على الآخر من غير العربي في المجتمعات العربية، وخصوصاً في الميادين الدقيقة، فاغلب ما هو موجود في المجتمع العربي مستورد من الخارج من أبسط الأمور إلى اعقدها، ومن التقنية والتكنولوجيا إلى الأيدي العاملة والخبراء والمخططين والشركات المتخصصة في حقول العلم والمعرفة والتنقيب والتعدين والبناء، وهذا أدّى إلى اتكالية واستبدال لمكونات الثقافة العربية بمكونات ثقافة العولمة القائمة على المادية والربحية والإباحية والترويج للجريمة والعنف والمخدرات.

ويظهر تأثير العولمة في تراجع الانتماء للأمة والقومية العربية لدى المواطن العربي من خلال إذابة هذا الانتماء واستبداله نظرياً بالانتماء للمجتمع الإنساني، الذي استوجب تغيير وتبديل ملامح الثقافة العربية القائمة على اللغة والتاريخ والعادات والتقاليد المشتركة.

كما يظهر تأثير العولمة ببروز التبعية الثقافية للعديد من المفكرين والمثقفين والأكاديميين والمؤسّسات العربية، للثقافة الغربية وللمؤسّسات الثقافية الغربية، حتى شاع في العالم العربي تفضيل خريج المدارس والجامعات الغربية، وتفضيل من يجيد اللغات الأجنبية حتى لو كانت لغته العربية غاية في الضعف وهذا الاتجاه يشيع على المستوى الرسمي وغير الرسمي.

وتظهر آثار العولمة في شيوع الثقافة السطحية المتمثلة بالرقص والطرب وسيطرة الفنانين والمطربين والراقصين على حياة المواطن العربي، فعدد القنوات الفضائية العربية التي تتخصص بهذا المحتوى بالمئات بينما عدد القنوات العربية التي تتخصص بالشأن الثقافي الهادف والمرتبط بالثقافة الأصيلة والجودة في الأدب والفن محدود جداً، وهذا يقابل ما تبثه المؤسّسات الإعلامية الغربية لمجتمعاتها من

ثقافة مادية سطحية، وبذلك تتوحد الثقافة التي تبثّ للمواطن العربي مع الثقافة التي تبثّ للمواطن الغربي.

بشكل عام يظهر تأثير العولمة في خفوت المشاعر الدينية التي تأمر بالفضيلة والمعروف، وتراجع القيم العربية الأصيلة، كالنخوة والشجاعة والوفاء بالعهد، نتيجة مزاحمتها من قبل ما تبثّه العولمة من قيم زائفة ودخيلة على تاريخ أمتنا وتراثها الحضاري والفكري.

رابعا : اقتراحات و حلول للتعامل مع العولمة

بناءً على ما سبق، فإنني أرى ضرورة التأقلم مع العولمة والتماشي معها، وفي نفس الوقت اتخاذ الإجراء اللازم لمنع انسحاق الذات فيها وانجرافها معها للحفاظ على الثقافة المحلية والهوية التي يعتز بها المجتمع العربي و الإسلامي.

ومن هذه الإجراءات والاقتراحات الكفيلة بالتنسيق بين الثقافتين وعدم اللحاق بالغربية أو الانسحاق تحتها ما يلي:

- المطلوب هو التركيز على الشباب في البرامج المعدة لتنيمتهم أكاديمياً ومهنياً واجتماعياً وثقافياً حيث أنهم عدة المستقبل والقادرون على المحافظة على مقدراته وتراثه.
- الاهتمام بالفنون الإسلامية، لمساهمتها في تحديد الهوية الاجتماعية الثقافية التي تواجه تغيرات العولمة .
- تشكيل هيئة عليا متكاملة من تخصصات مختلفة من أبناء الدولة القادرين على إدارة الكم الهائل من عناصر الثقافة المختلفة من العموميات والخصوصيات والمتغيرات من أجل العمل على غربلة الصالح من الطالح، وتوجيهه بالطريقة الصحيحة التي تضمن الاتصال الفاعل غير الغادر الذي يحافظ على أساس وجود الأمة العربية والإسلامية وكيانها، ويحميها.

- التعاون والتنسيق والانفتاح عوامل جوهرية في إدارة مكونات الثقافة والخاصة بالمجتمعات المختلفة من زاوية التأكيد على معرفة ما لدى الآخر، والإحاطة به، مع القدرة على المحافظة على ما لديها من إرث وطني قومي وعربي.
- تطوير المناهج وطرح برامج تتعلق بتوعية الطلبة حول تعدد الثقافات، وأسس الهوية العربية والإسلامية، والعولمة وتاريخها وآثارها على الإنسانية، في المدارس والجامعات .
- الاهتمام باللغة العربية والتركيز عليها وحمايتها فهي من أساسيات الثقافة، وجوهرها، فلا بد من إظهارها بقوة، وذلك عن طريق تطوير أساليب تدريسها، واستخدامها دوماً، وتحاشي استخدام المفردات الأجنبية في حياتنا اليومية، واستخدامها في التعليم الثانوي والجامعي أي تعريب لغة التدريس في المدارس الخاصة والأجنبية والجامعات.
- التعاون بين النظم التعليمية العربية والإسلامية المختلفة لوضع تصور معين خاص بها يفيد في تحصين الثقافة العربية الإسلامية.
- التأكيد على مبدأ التعلم مدى الحياة، لأن هذا المبدأ يتضمن القدرة على التأقلم مع المستجدات والتغيرات المختلفة، وبما أننا لاحظنا بالنظر إلى تاريخ العولمة مقدار التغير الحاصل في ما حولنا، وخطورة ذلك على الفكر العربي والإسلامي، إذاً لا بد من تحصين الفرد بإعداده لفكرة التغير المستمر والمحافظة على الإرث الحضاري المميز للأمة العربية والإسلامية.
- عناية ورعاية خاصة بالأفراد المتميزين ذوي القدرات الخاصة والشخصيات القوية الفاعلة والمؤثرة، والقادرة على إحداث التغيير

والتطوير داخل المجتمع الواحد، مع المحافظة على أصالة هذا المجتمع المتمثلة بعناصر ثقافتة المختلفة.

- تكثيف برامج توعية الأسر والأهالي حول موضوع العولمة، والثقافة العربية، والإسلامية، وأساليب المحافظة عليها، وتعزيزها، ووضع آلية جديدة لإعداد الأجيال، وأساليب ثقافتهم، وأحدها إعداد جداول محدّدة لأبنائهم لمشاهدة التلفاز، وعدم إتاحة الفرصة لهم لمشاهدة جميع البرامج والقنوات، وتوجيههم إلى قراءة الكتب والصحف والمجلات الهادفة ذات الطابع الثقافي العربي الديني، وليس أي صحافة، وتتم التوعية من خلال المدارس، والجامعات، ووسائل الإعلام.
- بناء ثقافة عصرية بديلة تتماشى مع مقومات ثقافتنا وديننا وتحافظ على هويتنا، وتختزل فيها بنفس الوقت سلبيات الثقافة السائدة حالياً مثل ثقافة العيب، والخوف، والجهل، والعنف، والعنصرية، والشللية، والمحسوبية، والتطرف، وتستبدل بالاعتدال، والتسامح، والانفتاح، والتوسط، والجرأة الأدبية، والحوار، والاطلاع.
- التآزر والتضامن والتعاون بين الدول العربية كافة، وفي جميع المجالات لوضع تصور عربي شامل للمحافظة على مكونات الثقافة العربية العصرية التي تتمكن من مواجهة هذا المد الهائل من العناصر الدخيلة على الأمة العربية، لتبقى تفخر بأصالتها وعروبتها ومكانتها وتأثيرها، واتخاذ ما هو كفيل بعلاج الفرقة العربية التي وصفها الكاتب الكبير المرحوم نجيب محفوظ بقوله: "إننا نعيش في الوطن العربي الآن فترة جنون، فأنا لا أتصور مطلقاً ما يحدث، وخيالي عاجز عن تصور هذا الشقاق والخلاف والتنابذ، إننا نعيش بالتأكيد فترة جنون".
- محاولة توجيه العولمة للعالمية إذا كان لا بد من الاعتراف بها.

- محاولة الاستفادة من إيجابيات العولمة .
- نشر ثقافة الحرية الموجهة المضبوطة في كافة أنحاء الحياة، كالحرية الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والدينية وغيرها، من أجل أن يعتاد عليها العربي في موطنه وحتى لا ينجرف معها عند تواجده في أي مجتمع غربي يؤدي به إلى التعولم.
- التأكيد على البرامج التلفزيونية والإذاعية التي تتناول عناصر الثقافة العربية وتعمل على إبرازها، وإنتاج المزيد منها، وزيادة ساعات بثها، والتقليل من ساعات البث غير الهادف، وبالأخص تلك التي تخاطب الأطفال كأفلام الكرتون، وتلك التي تخاطب الشباب.

الخاتمة:

إن البلدان العربية الإسلامية في حاجة إلى نهضة حقيقية وإرادة قوية، وبصيرة ثابتة تمكنها من فهم حاضرها وتعي حقيقة وجودها، هذا الفهم وهذا الوعي لا يمكن أن يكون إلا وفق منهج علمي وعملي سليم يتجاوز المحلية نحو العالمية، نحن بحاجة إلى تغيير شامل لواقع الأمة العربية الإسلامية تغييرا جذريا وجادا، ولنبدأ من الهياكل والمؤسسات الأساسية التي بواسطتها نستطيع التأثير والتغيير.

وحسب اعتقادي فإن الحل يكمن في عملية التغيير، تغيير شامل على كل المستويات » إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم « خاصة فيما يتعلق بالناحية التعليمة والتربوية والمحافظة على القيم الإسلامية وتطبيق شريعة الله، والعمل على ترسيخها ونشرها، ونستطيع ذلك من خلال الاهتمام بالمؤسسات التربوية بدءا من الأسرة والمدارس والجامعات والمساجد، لننتقل إلى المجتمع الأعلى، ونستطيع ذلك من خلال تحسين وإعادة النظر في النظام التعليمي العربي، فبدونه لا يمكن أن نواجه التحديات والمخاطر التي تحدق بالهوية العربية الإسلامية، من خلال طرح نموذج جديد لمدرسة المستقبل تكون كفيلة بتعزيز الانتماء الديني والقومي والولاء لدى الأجيال العربية في سياق التواصل الحضاري والإنساني، وبما يمكن من التصدي الواعي للغزو الثقافي وحماية الهوية الدينية والثقافية والحضارية للأمة العربية الإسلامية.

❖ **هوامش البحث:**

(1) عبيدات ذوقان : **شبابنا ..أين نحن من العولمة**؟، وزارة الشباب و الرياضة ، عمان ، الأردن ، 2000م، ص 25 .

(2) هانس بيترمارتين و هارالد شومان: **فخ العولمة**، ترجمة: عدنان عباس علي، مراجعة و تقديم أ.د رمزي زكي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، العدد 238، أكتوبر 1998 ، ص 40 .

(3) محمد عابد الجابري: **العرب و العولمة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1998، ص 137.

(4) مالك بن نبي: **مشكلة الثقافة**، ترجمة عبد الصبور شاهين، مكتبة دار العروبة، القاهرة الطبعة الأولى، 1959 ص64.

(5) المرجع السابق، ص 73.

(6) المرجع السابق، ص 73.

(7) المرجع السابق، ص 84.

(8) زكي الميلاد، "**المسألة الثقافية، من أجل بناء نظرية في الثقافة**"، المركز الثقافي العربي، 2005، ص 74.

(9) المرجع السابق، ص 79.

(10) تركي الحمد: **الثقافة العربية في عصر العولمة**، دار الساقي، بيروت، لبنان، 1999، ص 91.

(11) محمد العربي ولد خليفة: **المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية**، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 2003، ص92.

(12) إبراهيم الحسن: **الهوية الثقافية الصحراوية**، w ww.//Alarbio.com

تاريخ الدخول للموقع 01 / 12 / 2012 على الساعة 00 : 20 .

(13) عدنان السيد حسين: "**متطلبات الأمن الثقافي العربي: دراسة في الإستراتيجيات والسياسات**"، **من كتاب الثقافة العربية**، أسئلة التطور والمستقبل، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2003، ص 299.

(14) محمد صايل نصرالله الزيود : تأثير العولمة على الثقافة العربية ، أستاذ مساعد ورئيس قسم الإدارة التربوية والأصول ، كلية العلوم التربوية ، الجامعة الأردنية- عمان/ الأردن ، تاريخ الدخول للموقع 30/ 11/ 2012 على الساعة 00 :12 http://www.arabthought.org.

(15) الغريبة مازن : **العولمة و الثقافة**، مجلة أبحاث اليرموك، العدد 18، 2002، الأردن، ص 610 – 615 .

(16) محمد صايل نصرالله الزيود : تأثير العولمة على الثقافة العربية، مرجع سابق .

(17) سالم بول: **الولايات المتحدة و العولمة**، مجلة المستقبل العربي، العدد 20، 1998، ص 78 – 90 .

(18) وطفة علي: **ثقافة الطفل العربي في زمن التحديات**، مجلة عالم الفكر، العدد 34، 2006، ص ص187 – 238.

(19) محمد صايل نصرالله الزيود : تأثير العولمة على الثقافة العربية ،مرجع سابق .

(20) بلقزيز عبد الإله: **العولمة و الهوية الثقافية**، مجلة المستقبل العربي، العدد 20، 1998، ص ص91 – 99.